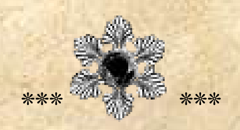
الإِنْهيَارُ الْخُلُقِيُّ

في المجتمعِ الْمُسْلُمَانِيّ


*** ***



Feriduddin AYDIN
ORCID ID: 0000-0002-6440-6734
ISBN:
feriduddin@gmail.com

دار العِبَر للطباعة والنشر

Al-Ibar Publishing
İstanbul-2018

الإنْهيَارُ الْخُلُقِيُّ

في المجتمعِ الْمُسْلُمَانِيّ

إن الإنسانَ كائنٌ اجتماعِيٌّ، له علاقةٌ متعدّدَةُ الوجوهِ مع أخيهِ الإنسانِ؛ كَعَلاَقَتِهِ القَرَابِيَّةِ، والْعَقَدِيَّةِ، والفكريَّةِ، والماليَّةِ، والسياسيَّةِ، والقوميَّةِ، والجِواريَّةِ ونحوها... يعني أنَّ هناك تعايشٌ وتفاعلٌ واحتكاكٌ متواصلٌ بين الإنسانِ وأخيهِ الإنسانِ، شاءَ أو أبَى، رَضِيَ أو لم يَرْضَ. وهذا يقتضِي منه أن يتعاملَ مع غيرِهِ (من أفرادِ المجتمعِ، كذلك مع القضايا) على أساسِ مبادِئَ معينةٍ، واحترامٍ متبادِلٍ، أكثرُها تصرُّفاتٌ أخلاقِيَّةٌ.

إنَّ هذه التصرفات، (وقد تتحوَّلُ إلى طبائعَ راسخةٍ في الإنسانِ) عُرِفَت بالْمُثُلِ العليا، ونالتْ من التأييدِ والتقديرِ على قدرٍ ثابتٍ طِوالَ تاريخِ البشريَّةِ لدى مُعظمِ الْمِلَلِ والنِّحَلِ، وهناك إتفاقٌ على أكثرِها، وهي منظومةٌ من الخصالِ الرفيعة، مُنْبَثَقَةٌ من الدِّينِ، والعُرْفِ، والتقاليدِ الإجتماعيَّةِ، مثلُ الحياءِ، وَالْعِفَّةِ، والوَقارِ، والحِيادِ، والعدالةِ، والإقتصادِ، والتواضُعِ، والإخلاصِ، والصراحةُ، والصدْقِ، والأمانةِ، والحِلْمِ، والصبرِ، والجُرْأةِ، والتَّبَصُّرِ، والْعَزِيمَةِ، والنشاطِ، والسخاءِ، وحسن الظنّ، وإغاثةِ الملهوفِ، والوفاءِ بالعهدِ، ومساعدةِ المحتاجِ، ونُصْرَةِ المظلومِ، وتوقيرِ العالِمِ، واحترامِ ذِي الشيبِ، والرحمةِ بالصغيرِ والمنكوبِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ... وقد تُسمَّى هذه الأوصافُ بـ"الفضائل"، وبـ"الخصال الحميدة"، وبـ"مكارم الأخلاقِ". هذه المزايا تُمَثِّلُ ضَوَابِطَ عالَمِيَّةً شِبهَ مقدَّسَةٍ اتَّفَقَتْ عليها جماهيرُ الأمَمِ، فيتعذّرُ تجاوزُها لمن يتجرأ على التهاون بها، مخافةَ مقتِ المجتمعِ من جانبٍ، مع الاستشعارِ برقابةِ اللهِ من جانبٍ آخر.

وأضْدَادُهَا مرفوضةٌ يتعرَّضُ المتَّصِفُ بها للإدانةِ واللَّوْمِ والعتابِ، وقد يُعَاقَبُ ويُسْحَقُ، إذ لِمساوِي الأخلاقِ آثارٌ وخيمةٌ تنعكسُ على كُلِّ جوانبِ الحياةِ، تؤدِّي بالفردِ إلى سُبُلِ الإنحرافِ؛ تجلبُ القلقَ

والإضطرابَ، وتُثيرُ الفُرْقَةَ، وتخلُقُ الفجوةَ بين عناصرِ المجتمعِ، فينهار لا محالةَ بانهيارِ الأخلاقِ. وهذا يذكِّرُنا بقولِ الشاعر أحمد شوقي: "إنما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ * فإنْ هُمُ ذَهَبَتْ أخْلاَقُهُمْ ذهبوا".

لا شكَّ في أنَّ لِمكارمِ الأخلاقِ دورٌ كبيرٌ في منعِ الإنسانِ من الإساءةِ والإجرامِ في ظلّ غِيابِ القوانين. وهي دعامةٌ كُبرى يقوم عليها وجودُ أيِّ مجتمعٍ وحياتُها وَقُوَّتُها ونجاحُها ودِفاعُها في مواجهةِ التحدِّياتِ... وما مِنْ أسرةٍ، أو جماعةٍ بشريةٍ، أو دولةٍ أهملَها إلاَّ فقدتْ حيوِيَّتَهَا، واختَلَّ نظامُها، وانتشرَ فيها القلاقلُ والفوضَى، وتغلَّبَ القوِيُّ فيها على الضعيفِ، فتمكَّنَتْ أعداؤُها مِنَ القضاءِ عليهَا ولو بعد حين. يقول الإمَامُ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ "حُسْنِ الْمُحَاضَرَة": "قَدْ أجْرَى اللهُ تَعَالَى عَادَتَهُ: إنَّ الْعَامَّةَ إذَا زَادَ فَسَادُهَا وَانْتَهَكُوا حُرُمَاتِ اللهِ، وَلَمْ تُقَمْ عَلَيْهِم الْحُدُودُ، أرْسَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ آيَةً فِي إثْرِ آيَةٍ، فَإنْ لَمْ يَنْجَعْ ذَلِكَ فِيهِمْ أتَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنِدِهِ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَنْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُ دِفَاعًا"

تُذَكِّرُنا وضعُ الْمُسْلُمَانِيِّين (The Muslumans) اليومَ بهذهِ المقولةِ الهامَّة. نعم، لقد خرجوا على هذه الضوابطِ العالَمِيَّةِ المقدَّسةِ التي يُرَكِّزُ عليها الكتابُ والسُّنَّةُ، وهانَ أمرُ الله عليهم، فهانوا على الله الواحدِ القهارِ، فسلَّط عليهم مَنْ لاَ يستطيعون له دفاعًا؛ سلَّطَ عليهم أميركا، وإسرائيلَ، ودولةَ المجوس، وجعل بَأْسَهُمْ فيما بينهم، تُحَارِبُهُمْ عشراتٌ بل مئاتٌ من التنظيمات الإرهابِيَّةِ (كالعصابةِ اللادنيَّةِ، والداعشيَّةِ، والحُوثِيَّةِ، والْبُوكُوحَرَامِيَّةِ، وَالْفَتُّوشِيَّةِ، وبي كَ كَ، وDHKPC، وحزبِ الشيطانِ الرافضِيّ اللبنانِيّ، ومرتزقةِ النقشبندية، والأحزابِ السياسية، وعصابات المافيا)... لذا فإنَّ كلمةَ الْمُسْلُمَانِيّين اليومَ هي السُّفلى، ولأعدائِهم عليهم ألف سبيلٍ وسبيل؛ لأنَّهم ما عادوا يرجون لله وقارًا:

انْسلخُوا من الْقِيَمِ الإنسانيَّةِ: استبدلوا الفضيلةَ بالرذيلةِ؛ والاستقامةَ بالانحرافِ؛ وَالْحَيَاءَ بالوقاحةِ؛ والعفةَ بالفاحشةِ والمجونِ والدعارةِ؛ والوقارَ بالخفةِ والرُّعُونةِ والطيشِ؛ والحيادَ بالانحيازِ؛ والعدالةَ بالظُّلمِ؛ والإقتصادَ بالإسرافِ والتبذيرِ؛ والتواضعَ بالتفاخُرِ والتكبُّرِ والغطرسةِ؛ والإخلاصَ بالرياءِ والتملُّقِ والمداهنةِ والنفاقِ؛ والصِّدْقَ بالكذِبِ؛ والوفاءَ والأمانةَ بالخيانةِ والعمالةِ؛ والرزانةَ بالتهوُّرِ والغيظِ والغضب؛ والصراحةَ بالخداعِ والدسيسةِ؛ والإطمئنانَ بالشَّكِّ والتجسُّسِ؛ والصبرَ والسكينةَ بِالْجَزْعِ والقلقِ؛ والسعيَ والنشاطَ بالمسكنةِ والركونِ إلى الأرضِ، والتوحيدَ بِالْوَثَنِيَّةِ والتصوُّفِ والْقُبُورِيَّةِ... فشاعَ فيهم الفسادُ، وفشى فيهم الجهلُ، وانتشرت فيهم الكفرُ بأشكالِه الْخَمْسَةِ: (الشركِ، والإلحادِ، والنفاقِ، والزندقةِ، والردَّةِ)... والعياذ بالله! وهذه خطوطٌ عريضةٌ عن مشهدِ الْمُسْلُمَانِيّين في الوقت الراهن:

* خانَ الْمُسْلُمَانِيّونَ الإسلامَ فنبذوا الكتابَ والسنةُ والأُخُوَّةَ في الله، واعتمدوا القوميَّةَ والعنصرِيَّةَ، وأصيبوا بمرضِ الأثرةِ والحرصِ على المصلحة الشخصيةِ؛ فتباغضوا وتناحروا، بعكس ما ورد في الكتاب العزيز من الوصايا بالتآخي والتساند والتآزر... يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون."[1] ويقول تعالى: "يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ."[2] ويقول تعالى: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ."[3] ويقول تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب."[4] ويقول تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ."[5] ويقول الرسولُ صلى الله عليه وسلم: "أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلاَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، إِلاَّ بِالتَّقْوَى"[6] ويقول أيضًا: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"[7]

والحال هذه، فإنَّ المجتمعاتِ التي تزعم أنَّها من أمةِ الإسلامِ لم تتورّعْ عن قهرِ إخْوَتِهِمْ من الأقلياتِ التي تعيشُ بين ظهرانيها. فالأقلياتُ العرقيَّةُ والدينيَّةُ من الأكرادِ، والعربِ، والجماعاتُ السلفيَّةُ في تركيا وإيران؛ والسُّنِّيُّونَ عامَّةً، والأكرادُ، والتوركمانُ على وجه الخصوص في العراق وسوريا؛ وجماعةُ الإخوانِ المسلمين في مصر؛ والأمازيغُ، والطوارقُ في شمالِ إفريقيا؛ والبنغاليُّونَ والبشتون في باكستان؛

---

[1] الحجرات/10

[2] الحجرات/13

[3] الحجرات/12

[4] المائدة/2

[5] آل عمران/103

[6] عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ... إلى آخر الحديث. المصدر: غاية المقصد في زوائد المسند، للحافظ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي.

[7] عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى.

والأقليَّاتُ السلفيَّةُ من أهالي مناطقِ تركستان؛ وكثيرٌ من غيرِ هذه الْفِرَقِ الْعِرْقِيَّةِ والدينيَّةِ، تعرَّضوا في أوطانِهِم لأشكالٍ رهيبةٍ تُثيرُ الدهشةَ من الإكراهِ والعنف والتنكيل. قُتِلَ منهم آلافٌ، كما تعرَّضَ مئاتُ آلافٍ منهم للتهميشِ والقمع والتشريد والتعذيبِ...

*** انتشرتْ المساوئُ الأخلاقيَّةُ بين كافةِ المجتمعاتِ الْمُنْتَسِبَةِ للإسلامِ بصورةٍ فظيعةٍ وحتى في تركيا التي تُعَدُّ أرقَى بلادِ "المسلمين". اختفتْ عقيدةُ التوحيدِ في هذا البلدِ وشاعَ الإلحادُ بين أهاليهِ في أشكالٍ غريبةٍ بحيث لا يكادُ أحدٌ منهم ألاَّ وقد تلبَّسَ إمّا بجنايةِ الشركِ الصوفيّ العُنْصُرِيّ، أو الإلحادِ الأتاتوركي؛ وَمَردُّ كِلَيْهِمَا إلى الديانةِ الْمُسْلُمَانيَّةِ التي يعتنِقُها جميعُ الأتراكِ والأكرادِ، وبقيَّةُ الأقليَّاتِ التي فقدتْ ميزاتِها العرقيَّةَ واستَتْركتْ[8]. لذا يتعرّضُ أهلُ التوحيدِ في هذا البلدِ لألوانٍ من الإحتقارِ والتهديدِ والسحقِ والعنفِ؛ يعانِي أشدَّ العذابِ في طريقِهِ، وعملِهِ، وفي أثناءِ دراستِهِ وَرَحَلاَتِهِ، ومتابعةِ إجراءاتِهِ القانونيَّةِ، وحتى عند إقامتِهِ في دَارِهِ وهو مرفوضٌ ومُستهدَفٌ من قِبَلِ جيرانِهِ...**

---

[8] أي تَنَاسَتْ خصوصِيَّاتِهَا العرقيَّةَ، وتركتْ لغاتَهَا، مخافةَ أنْ تتعرَّض للعنف. انصهرَ كثيرٌ من أقلياتٍ عرقِيَّةٍ في المجتمعِ التركيّ واختفى مُعظمُ ميِّزاتِهَا. يأتي على رأسِ هذه الأقلّيَّاتِ: العربُ القاطنون في جنوبي شرق تركيا. خَمْسُ مُدُنٍ في هذه المنطقةِ: أنطاكيا، وأورفا، وعينتاب، وماردين، وأسعرد، كلُّها تقعُ على تُخومِ سوريا والعراق: سكانُها ينتمون إلى قبائلَ عربيَّةٍ عريقة. أشهرُها: ربيعة، وبكر، وتغلب، ومضر، كذلك كُتَلٌ من القيسيين وبني هلال بمدينةِ أورفا وضواحيها، وبقايا من بني عمرٍو (أو بني عامرٍ) بمدينة عينتاب، وعائلاتٌ من بكر بمدينة ديار بكر... أكثرُهم انتقلوا إلى هذه البقاعِ أيامَ الفتحِ الإسلامِيّ في جيشِ خالد بنِ الوليد، وعياض بن غنم، كما هاجر أفواجٌ من العرب إلى هذه المنطقةِ عَقِبَ سقوط الدولة العباسية على يد التاتار المغول عام **1258**م. ثم اتّخذوها وطنًا وأقامو فيها. وهناك أيضًا عائلاتٌ من خزرج، وأوس، وبني هاشم، مبعثرةٌ في المنطقة نفسِها.

أمَّا سكانُ أنطاكيا، وأورفا (رَهَا) قديمًا، وماردين، وعينتاب، من هذه الأقلّياتِ العربيَّةِ؛ أغلبُهم احتفظوا بلُغَتِهِمْ إلى اليومِ رغم الضغوطِ الشديدةِ التي تعرَّضُوا لها في العهدِ الجمهورِيّ. ما زالوا يتكلَّمون بالعربية. لكنَّ جميعَ العربِ من مواطِنِي الدولةِ التركيةِ يجهلون الكتابةَ بالعربية، لأنها كانت ممنوعةً طوالَ ثمانين عامًا بموجب القانو، ثم أُلغِيَ القانونُ المذكورُ في عهد الرئيس ترغوت أوزال، وأُفْرِجَ عن اللغةِ العربيةِ بالقانون رقم: **2789/92**، الصادرِ بتاريخ: **20** مارس **1992**م. والذي نُشِرَ في الجريدةِ الرسمية رقم: **21177**.

هذا، ويجدر الإشارةُ بالمناسبةِ إلى سُكَّانِ مدينةِ أسعرد Siirt، الذين يكادون يفقِدُون هُوِيَّتَهُمْ العربيَّةَ تمامًا لِسَبَبَيْنِ رئيسين: أوّلاً: لأنَّ أكثرَهم كانوا نصارى؛ فلمَّا عزمتْ الدولةُ العثمانيَّةُ (في عهدِ الإتِّحاديِّين) على إبادةِ الأرمن عام **1915**م. (وقد كانوا هم نصارى أيضًا)، دخلَ الذعرُ في نفوسِ أهلِ هذه المدينةِ أن يُصبحوا ضحيةَ الالتباسِ بالأرمن، فَتَشْمِلَهُمْ المذبحةُ. فتنكَّروا بالهويةِ الْمُسْلُمَانيَّةِ–التركيةِ، فنجوا بذلك من الإبادة. ثانيًا: تقعُ مدينةُ أسْعِرْدَ في وسطِ منطقةٍ آهلةٍ بالأكراد. فكان سكانُ هذه المدينةِ العربيةِ يُكِنُّونَ للأكرادِ كراهيةً شديدةً؛ يحتقرونهم، ويستغِلُّونهم، وأحيانًا يسلبون بَضَائِعَهُمْ التي يأتون بها من قُرَاهُمْ يعرضونها للبيع. وذلك تزلُّفًا وتملُّقًا إلى الحكومة التركيَّةِ على سبيل الاحتماءِ بها من بطشِ الأكراد. فلمّا استيقظَ الأكرادُ من نومتِهِمْ بعدَ العقدِ السادسِ من القرنِ العشرين، وبدأت النزعةُ القوميةُ تنتشر بين صفوفِهِمْ، بلغ خوفُ العربِ منهم إلى حدودِ الهلعِ، فتضاعف نفاقُهُمْ للحكومة التركية حتى أنكروا عروبِيَّتَهُمْ، وأخذوا يُسَمُّوْنَ أولادَهُمْ بأسماءَ تركية مثل: جَتِينْ Çetin، وَتكِينْ Tekin، وَأُورْهَانْ Orhan، وَهَاكَانْ Hakan، وَأُوكْتَايْ Oktay، وَسَرْبِيلْ Serpil، وَبُورْجُو Burcu، وَدِيلَكْ Dilek،...إلخ. بعدَ أنْ كانو يُسَمَّوْنَهُمْ: محمد، وأحمد، وحسن، وحسين، وعلي، وصالح، وفاطمة، وعائشة، وخديجة، وليلى... إلخ. كل هذه السخافات إن دلَّتْ على شيءٍ فإنما تدلُّ على أنَّ المجتمعَ التركِيَّ يعاني من انهيارٍ خلقِيٍّ فظيعٍ يعجزُ اللسانُ عن وصفِهِ بخلافِ ما يبدو من ظاهره.

هناكَ تناقضاتٌ إلحاديةٌ مُدَمّرَةٌ للْقِيَمِ الساميةِ والأخلاقِ الفاضلة؛ غابتْ في غِمارِها معالِمُ الإسلامِ، وللْمُسْلُمَانِيَّةِ بخاصّةٍ تأثيرٌ كبيرٌ في ظهورِهَا وتَفَاقُمِهَا. فكلُّ ظاهرةٍ إلحادِيَّةٍ لا شكَّ في أنَّها تساهِمُ في هدمِ الأخلاقِ، وينجُمُ منها الفوضى في العقيدةِ والفكر. وتَتَسَلْسَلُ السلبياتُ هكذا في توالٍ متواصلٍ تنعكسُ نتائجُها على جميعِ مجالاتِ الحياة من علاقاتٍ اجتماعيَّةٍ، وتوجُّهات سياسيَّةٍ، ومحصَّلاتٍ اقتصاديةٍ وتبعاتِها.

لقد بَلَغَ إسرافُ الناسِ في التَّقَوُّلِ على اللهِ، وعلى كتابِهِ، وعلى رسولِهِ، إلى حدودٍ لم يَعُدْ كثيرٌ من أفرادِ المجتمعِ التُّركِيِّ يبالون بما يَنْسِبُونَ إلى ربِّ العزَّةِ من البُهتانِ، والكذبِ على لسانِ نبيِّهِ، كُلَّمَا أتاحتْ لهم الفرصة. لأنَّ القوانينَ والضوابطَ في تركيا تخلو تمامًا من أدنى مادةٍ رادِعةٍ لهذه الجناية. فلا يجدُ الفردُ في هذا البلد أيَّ عقبةٍ تمنعُهُ من أنْ يَفْتَرِيَ على الله وعلى رسولِهِ لسببٍ غيرِ شديد. لذا كثيرٌ من الناسِ تراهم لا يتورَّعون من التَّفَوُّهِ بِ"قالَ اللهُ، أوْ قالَ النبيُّ كذا وكذا.." ذلك أسوةً بالزنادقة الذين انتهجوا هذه العادةَ منذ قرون.[9] "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ."[10]

إنَّ أكبرَ فريةٍ تلبَّسَ بها الأتراك (ربما دون وعيٍ منهم بخطورتِها)، هو تَسْمِيَتُهُمْ للإسلامِ بِ"الْمُسْلُمَانِيَّةِ Müslümanlık"، وذلك أسوةً بمجوسِ الفرسِ الذين أطلقوا على الدِّينِ الحنيفِ اسمَ "مُسَلْمَانِي" بعد أنْ فَتَحَ المسلمون بلادَهُمْ، وَقَضَوْا على دولتِهِمْ. أطلقوا هذا الاسمَ الفارسيَّ على الإسلامِ ليتمايزوا

---

9 على سبيل المثال، يقول الشاعر سليما تشلبي، (وهو مؤلف المولد النبوي باللغة التركية)، يزعم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى ليلة المعراج بأم عينيه في اليقظة يقول في بيت من قصيدته:

Aşikâre gördü Rabbül izzeti,
Ahirette öyle görür ümmeti…

بينما الحقيقةُ خلافُ ذلك. وقولهُ هذا فِرْيَةٌ على اللهِ وعلى رسولِهِ! قد ورد في حديثٍ مرفوعٍ عن مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ وَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، انْظُرِي وَلا تَعْجَلِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى سورة (النجم/13) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ. (التكوير/23) فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: "ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلَمْ أَرَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلا مَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ قَدْ هَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ فَسَدَّ جِسْمُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ." أَلَمْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الأنعام/103). قَالَ مَسْرُوقٌ: "تَفْسِيرُ هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مَا رَوَتْ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. (النجم/11) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. (النجم/18)".

هذا، ويتجرّأ كثيرٌ من الناسِ في تركيا أن يفترُوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأسنادِ مَا لَمْ يَقُلْهُ إليه أبدًا، ومَا لا يليقُ بِشَأْنِهِ عليه السلام أنْ يَتَلَفَّظَ به على الإطلاق. كزعمِهم على لِسَانِهِ: "أنَا عَرَبِيٌّ وَلَيْسَ الْعَرَبُ مِنِّي"!

10 هود/**18**.

بذلك عن بقيَّةِ المسلمين (على رأسِهم العرب) في انتمائِهِمْ لهذا الدِّينِ مِمَّا يدلُّ على نفاقِهِمْ وسوءِ طويَّتِهِمْ، وحِقْدِهِمْ على الأمَّةِ المحمديَّةِ.

ولَمَّا كان بلادُ التُّرْكِ (في قديمِ أيَّامِهم) مُلاَصِقَةً بالمنطقةِ الفارسيةِ (بالاضافةِ إلى أنَّ جماهيرَ الأتراكِ انتشروا في الْمُدُنِ الإيرانيَّةِ وأقاموا بها قرونًا قبل هِجرتِهِمْ إلى موطنِهم الحالي: تركيا)، أخذوا الشيءَ الكثيرَ من معتقداتِ المجوسِ، والمذهبِ الرافضِيِّ، والثقافةِ الفارسيَّةِ، من ضمنِها: تسميتُهُمْ للإسلامِ بـ"الْمُسْلُمَانِيَّةِ"، وهذا بهتانٌ عظيم.

إذ أنَّ كلماتِ القرآنِ كُلَّهَا توقيفيَّةٌ، ولفظُ (الإسلامِ) وردَ في القرآنِ الكريمِ أربعَ مَرَّاتٍ،[11] منها قوله تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَام."[12] بخاصةٍ، قد جاءت فيه كلمةُ "الإسلامِ" اسمًا مؤكَّدًا لهذا الدين. فيتبيَّنُ من خلالِ هذا البرهانِ القاطعِ والْحُجَّةِ البالغةِ: أنَّ الدِّينَ الحنيفَ الذي بعثَ الله به محمدًا، وارتضاهُ لأمَّةِ هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من عبادِهِ، لا يجوزُ تسميتُهُ بغيرِ هذا الإسم أبدًا. وأمَّا بعضُ الإطلاقاتِ التي وردتْ على ألسنةِ الناسِ كقولِهِمْ: "الدِّين الحنيف" و"الدِّين المحمديّ" و"الدِّين المبين" فإنَّها تُعَدُّ من أوصافِ البيانِ له، ونوعًا من التعريفِ به، وإجلالِ شأنِهِ، كما لها أصلٌ في الكتابِ والسُّنَّةِ. وأمَّا كلٌّ مِنْ كلمَتَيْ: «**Müslümanlık**» في التركية، و"مُسَلْمَانِي" في اللغةِ الفارسيَّةِ، فلا يجوزُ تسميةُ الدِّينِ الإسلامِيِّ بهما على الإطلاقِ؛ لأنَّهما كلمتان مُحَرَّفَتَانِ من لفظِ (مُسلم) تحريفًا شنيعًا، ولا صلةَ لهما بكلمةِ "الإسلام"، لفظًا ومعنىً، فلا يجوز ترجمةُ كلمة (الإسلامِ) بهما.

قد يتسائلُ البعضُ عن المناسبةِ بين هذه التسميَّةِ وبين الفسادِ الأخلاقِيِّ: هل يجوزُ عُرفًا أن تُعَدَّ هذه التسميةُ نوعًا من الوقاحةِ مثلاً؟ نعم، إنه ما من شكٍّ في أنَّ الجرأةَ على اللهِ بتغييرِ هذا الاسمِ – نظرًا لعظمةِ الجنايةِ – تُعَدُّ مِنَ الوقاحَةِ بأشدِّ ما تكون، بل هي أصلُ كلِّ وقاحةٍ اقترفها المعتنقون لهذا الدِّين الخالِي من كلِّ فضيلةٍ. ذلك أنَّ الْمُسْلُمَانِيَّة **Müslümanlık** تحوي في بطنِها من كلِّ بدعةٍ وضلالةٍ. ومن أبشعِ هذه الضلالاتِ أنَّ غِلاَفَها الخارجِيَ (الذي تتوارى بها من أنظارِ الأغبياءِ والجهلة) منسوجٌ من لبناتٍ سُرِقَتْ من الإسلامِ؛ كالصلاةِ، والصوم، والحجِّ، والزكاةِ، والأضحية وغيرها... إنَّ هذه

---

[11] كلمة الإسلام وردت في أربع آيات من القرآن الكريم: **1**) آل عمران/**19**، **2**) آل عمران/**85**، **3**) المائدة/**3**، الصف/**7**.

[12] آل عمران/**19**

الحيلةَ، اقترفها مجوسُ الفرسِ أصلاً، ثمَّ وقع الأتراكُ في كمينهم (ربما دون وعيٍ)، وذلك بسببِ العجمةِ وهي بَلِيَّةٌ عظيمةٌ وعَقَبَةٌ أمامَ كلِّ مَنْ يتوجَّهُ إلى المعرفةِ بأسرارِ الكونِ والحياةِ.

أمَّا الأتراك، كما يقول الدكتور طاهر سليمان حمودة: "قد دِيفَتْ بالعجمة ألسنتُهم وبالرغم من تعلُّمِ كثيرين منهم العربيَّةَ لكونِها لغةَ الدِّينِ والعلومِ فإنهم– في الغالب– افتقروا إلى الفصاحة فيها"[13] على مدى تاريخهم. وقد أنْهَكَتْهُمُ الْعُجْمَةُ في هذا العصرِ بخاصَّةٍ، ودفعتْهم إلى متاهاتٍ من الفسادِ الأخلاقي؛ معظمُها ناشئةٌ من الثغراتِ التي أسفرَتْ عنها المسلمانيَّةُ من الشعوذةِ والتصوُّفِ والقبوريَّةِ والوثنية.

يبدو أن الفجوةَ التي أحدثها الإنحرافُ عن الخطِّ الإسلامِيِّ المستقيمِ منذ قرونٍ، بعد وجودِ رُكامٍ من المعتقداتِ الباطلة، ورسوخِها في أعماقِ ضميرِ المجتمعِ التركِيِّ، قد يستحيلُ سدُّها تمامًا (بعد اليومِ، وقد فاتتْ الفرصةُ) مهما بلغت الجهودُ الإرشاديَّةُ كما لو اكترثَ لِمُعالَجَتِها جمهورٌ من العلماءِ المصلحين. ذلك لأنَّ الفسادَ الأخلاقِيَّ المتفشِّيَ في هذا المجتمعِ مردُّهُ في الأصلِ إلى الفسادِ في الْمُعْتَقَدِ، وهو راسخٌ في الضمائرِ رسوخَ أسُسِ ناطحاتِ السحابِ في أعماقِ الأرض. وهذا ما يُلْفِتُ النطرَ إلى الفوارِقِ التي تُمَيِّزُ الإسلامَ عن المسلمانيَّةِ. ومن أعظم الفوارق بينهما: أنَّ الْمُسْلُمَانِيَّةَ عشوائةٌ خاليَةٌ من الأحكامِ تمامًا على غرار المسيحيَّةِ. لا حدود فيها للحلالَ ولا للحرامَ.

فالكذبُ والغشُّ (على سبيل المثال)، حلالٌ عندَ معظم الْمُعْتَنِقِينَ لِلْمُسْلُمَانِيَّةِ، وهما متفشيان في المجتمعِ التركِيّ، يدلُّ على ذلك شيوع أخبارِ الكذب والغش عبر وسائل الإعلامِ التركي يوميًا وبدون انقطاع. والبرهانُ على ذلك: بياناتٌ واعترافاتٌ لا حصر لها وردت على لسان جمهورٍ من الكتابِ والمثقفين والأكاديميين الأتراك...[14]

---

[13] طاهر سليمان حمودة، جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي. المكتب الاسلامي، بيروت – **1989**م.

[14] يقول أحد الأساتذة الجامعيين المتخصص في علوم النفس يدعى الأستاذ الدكتور نوزاد ترخان:

« Yeni MİT yasasında yalan makinelerinin kullanılabileceğine dair düzenlemeler yapılmasından sonra, Üsküdar Üniversitesi, Türk tipi yalan makinesi geliştirilmesi için çalışma başlattı. Üniversite'nin Kurucu Rektörü Prof. Psikiyatr Nevzat Tarhan'a göre, batıda geliştirilen kişilik testleri gibi, yalan makineleri de işlevsel olmayabilir çünkü doğu ve batı toplumlarının yalan algısı birbirinden farklı. Al Jazeera'nin sorularını yanıtlayan Tarhan'a göre, eğitim sistemi çıkar odaklı birey yetiştirdiği ve değer eğitimi vermede başarısız olduğu için Türkiye'de en çok yalanı eğitimliler söylüyor,»

كان الناسُ قديمًا يقتبسون من الإسلامِ قِيَمًا أخلاقِيَّةً ينطلقون منها ويتصرَّفون على أساسِها برغم اختلافِهم في الدِّينِ مع المسلمين الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم، إذ أنَّ المجتمعَ التُّركِيَّ ليسَ بِكُلِّيَّتِهِ يعتنقُ الْمُسْلُمَانِيَّةَ **Müslümanlık**، بل كانت ولا تزال فيه جماعاتٌ من المسلمين على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، يُوَحِّدونَ اللهَ ولاَ يشركون به شيئًا، وإن كانوا قِلَّةً في أيَّامِنا على وجه الخصوص.

تمرُّ تركيا اليومَ بمرحلةٍ رهيبةٍ من الإنهيارِ الأخلاقِيِّ، والطامَّةُ الكبرى أنَّ تدميرَ الأخلاقِ يتم باستخدامِ آليةِ الدِّين. وآخر ما يبرهن على هذه الحقيقة يظهر بصورة واضحةٍ من خلال المؤامراتِ السياسيَّةِ التي قامت بها جماعةٌ من أتباعِ فتح الله گولن (وهو رجل دين)، ضد أردوغان، وحكومةِ حزبِ العدالةِ والتنمية. افتضحَ الرَّجُلُ والحكومةُ معًا في الصراع الذي اندلع بينهما بدءًا بأحداثِ **17** ديسمبر عام **2013**م. فهَبَّتْ على أثرِ هذه الإنطلاقةِ الجريئَةِ التي قامتْ بها أتباعُ فتح الله گولن كتهديدٍ مُوَجَّهٍ لحكومةِ أردوغان، هَبَّتْ عاصفةٌ من الْفِتَن، ما زال معظمُ أسرارِها خافيةً حتى الآن.

استطاع گولن بِدَهَائِهِ، وذَكَائِهِ، وَلَبَاقَتِهِ، وَتَلَوُّنِهِ الشمطائيِّ أنْ يربطَ قلوبَ ملايين من الأتراك إلى نفسهِ بِتَنَطُّعَاتِهِ ومراوغاتِهِ الدَّجَلِيَّةِ التي سَحَرَ بِهَا مَسَامِعَهُمْ، كما استطاع بِنَحِيبِهِ وَبُكَائِهِ الْحَرّ أثناءَ خطابِهِ أنْ يغسلَ أدمغتَهم طِوالَ أربعين عامًا، فتحوَّلَ آلافٌ منهم إلى دُمًى يتلاعب بهم، وهم رهنُ إشارتِهِ بحيث لو أمرَ أحدَهم أنْ يُلقِيَ نفسَهِ في النارِ لألقاها فيها من غير أدنى تردُّد. اختارَ من ضِمْنِ هذا الجمعِ الغفيرِ عناصرَ يثقُ بإخلاصِهم ممن احتلُّوا مناصبَ عاليَةً في مؤسَّساتِ الدولة، كما أعدَّ من بينهم شرذمةً من الضُّبَّاطِ المغترّين به؛ نفخ في روعِهم ما يستحيلُ ضبطُهُ من ضروبِ البهتانِ على اللهِ وعلى رسولِهِ وعلى كتابِهِ، وملأَ صدورَهم بالحِقدِ والغيظِ والعداوَةِ على رجب طيب أردوغان "بأنه على دينِ العربِ، (أي الإسلامِ!)، ويَكْفُرُ بِالْمُسْلُمَانِيَّةِ"، فدسَّ هؤلاءِ المغفَّلِين في صفوفِ الجيشِ التُّركِيِّ، فتورَّطُوا في مؤامرةِ انقلابٍ عسكرِيٍّ للإطاحةِ بالرئيس أردوغان،[15] ليلةَ **15** تموز من عامِ **2016**م. إلاَّ أنهم ما لبثوا حتى فَشِلُوا خلالَ ساعاتٍ معدودة، وأُلقِيَ القبضُ على أكثرِهم. كان هذا التمرّدُ بإيعازٍ من فتح الله گولن، وباستخدامِهِ آلية الدِّين. وأمّا فتح الله گولن الذي طارَ خبرُهُ في الآفاقِ خاصَّةً بعد هذه

---

[15] هذه قائمة الخسارات البشرية التي أسفرتْ عن الانقلاب الفاشل في **15** تموز **2016**م.:

* عدد القتلى من المواطنين الذين خرجوا لإحْبَاطِ الإنقلاب: **246** شخصًا.

* عدد الجرحى برصاصات الإنقلابيِّين: **535** شخصًا.

* عدد المتهمين من الإنقلابيِّين الذين تمَّ القبض عليهم: **113 260** شخصًا.

* عدد المتمرِّدين من الإنقلابيِّين الْمُعْتَقَلِينَ منهم: **47 155** شخصًا.

* عدد المطلوبين من الإنقلابيِّين: **863** شخصًا.

الفتنةِ التي حَاكَهَا، فسوفَ يُشَمِّرُ الباحثون عن ساعدِ اجتهادِهم لكشفِ اللثامِ عن أسرارِ مغامراتِه ولن ينتهوا منها بسهولة.

شهدت تركيا صباحَ يوم 17 ديسمبر من عام 2013م. محاولةً انقلابيةً على الحكومةِ التركيَّةِ (المنبثقةِ من حزبِ العدالةِ والتنميةِ التابعةِ للرئيس رجب طيب أردوغان) بِتُهْمَةِ "الفسادِ والرشوةِ" الْمُوَجَّهَةِ إلى عددٍ من الوُزَرَاءِ وأصحابِ المناصب. تورّطَ في هذهِ المؤامرةِ جماعةٌ من أعضاءِ الجهازين الأمنِيِّ والقضائيِّ التَّابِعَيْنِ لِلْخُوَاجَه فتح الله گولن المسؤولِ عن تنظيمٍ سِرِّيٍّ قام بإعدادِهِ منذ أربعين عامًا، يُقَدَّرُ عددُ أعضائِهِ بمئات الألوفِ، وقد بثَّهُمْ في قلبِ الدولةِ التركية. بدؤا يتحكَّمون في مؤسَّساتِها منذ أعوامٍ وهم يترابطون فيما بينهم بِسِرِّيَّةٍ لم تتمكَّنْ جهازُ المخابرات التركية من كشفِها حتى منتصف سنة 2013م.

لقد كان أردوغان على علمٍ بهذا التنظيمِ وهَيْمَنَتِهِ على الدولةِ التركيَّةِ وخطورتِهِ منذ فترةٍ، إلاَّ أنَّه لم يكن واثقًا من نفسِهِ على إحباطِ هذه الشبكة، لِعُمْقِ توغُّلِها في جميعِ المؤسَّسات. خاصةً وأنَّ قمَّةَ هرمِها (فتح الله گولن) يقيمُ في الولاياتِ المتحدةِ، ويديرُها بالتنسيقِ مع شبكاتٍ استخباراتيَّةٍ أميركية. فانتهج أردوغان أسلوبًا مَرِنا في التعامل معه وهو يتحيَّنُ الفرصةَ لينقضَّ على تَنْظِيمِهِ في مُقْبِلٍ قريب. فكان يتملَّقُ إلى فتح الله گولن في كُلِّ مناسبةٍ ليكسبَ دَعْمَهُ، فنجحَ في ذلك أيَّامَ الإستفتاءِ على مشروعِ تعديلِ الدسوتور، فَحَيَّاهُ على تعاوُنِهِ معهُ من شُرْفَةِ مركزِ حزبِ العدالة والتنمية بأنقره وهو يقول: "أُحَيِّ جميعَ أخوتي في أنحاءِ العالَمِ، والذين قدَّموا دَعْمَهُمْ من وراءِ المحيطِ الأطلسي، (يقصد فتح الله گولن) وَأُبَارِكُ لهم". كان ذلك ليلة 12 أيلول 2010م.

لكنه لم يلبث حتى تنكَّر لصاحِبِهِ واستعدَّ للكشفِ عن فضائحه، فبدأ يتَّخِذُ التدابير اللازمة ليقتلع جذور هذه العصابة من مؤسساتِ الدولةِ ويستأصِلَ شَأْفَتَهَا. ولم يكن أردوغان أقلَّ من فتح الله گولن دهاءًا وحنكةً في تدبير المؤمرات. كما لا شكَّ في أنَّ أردوغان أيضًا – على غرارِ مصطفى كمال وكثير من زعماءِ الأتراك – يملك زمامَ ملايين مِمَّنْ نالوا ثقتَهُ، ولا عجب أنَّه مُدَرَّعٌ بعصابةٍ عملاقةٍ أقوى من تنظيم فتح الله گولن، أفرادُهَا متفانون فيه، متهالكون في محبَّتِهِ، بينهم فِدائيُّون بارعون في أفانين القتالِ، يعيشون في حالةٍ طارئةٍ ليقوموا بتنفيذِ أمرِهِ في لمحةِ البصرِ دون أن يتعرَّضوا لأدنى ملاحقةٍ أو إدانةٍ أو عقوبة!

قيل: إنَّ أردوغان لَمَّا عقدَ عزمَهُ على إحباطِ هذا التنظيم، بعد أنْ تمكَّنَ من المعرفةِ ببرنامجِ الإنقلابيّين ضدَّهُ، دسَّ بين صفوفِهِمْ مَنْ يُحَرِّكُهُمْ للنهوضِ قبلَ الساعةِ المقرَّرَةِ للانقلابِ، لِيَرْتَبِكُوا في أمرهم فتسرعَ إليهم الهزيمةُ! ولَمَّا تأكّدَ قمةُ التنظِيمِ أنَّ الحكومةَ على علمٍ بتدبيرهم، فما كان منهم إلاَّ أن انطلقوا للانقضاضِ عليها قبل الساعة المقرَّرةِ، وقبل أن يستكملوا ترتيباتِهم للخروجِ. وقد كانت عصابةُ أردوغان أَعَدَّتْ عُدَّتَهَا للمواجهة منذ أيام. فاستطاعتْ أن تسحبَ ملايينَ الصوفيَّةِ النقشبنديّين إلى الشارعِ في جميع مدنِ تركيا لايقافِ المتمرّدين وصدِّهِمْ وإحباطِهِمْ. فانتهى الأمرُ بنجاحِ أردوغان، وفَشِلَ الإنقلابيُّون وهم الآن ينتظرون عاقبتَهُم في السجون.

كان هذا غيضًا من فيضٍ من الفضائحِ السياسيَّةِ التي تتمرَّغُ الدولةُ التركيَّةُ اليومَ في أوْحَالِهَا. يدلُّ على ذلك في الْمُقَامِ الأوَّل؛ تصرُّفاتُ النوَّابِ وأساليبُ نقاشِهِمْ، وتشنيعُ بعضِهِم البعضَ في وسطِ عَوَاصِفَ مِنَ سبابٍ وملاكمة... لقد كان السياسيُّون الأتراك ولا يزالُ بعضُهم ينهالُ على بعضٍ بأبشعِ ألفاظِ الشتمِ تحت سقفِ البرلمان، وتجري هناك يوميًّا هجماتٌ وعِراكٌ بين أعضاءِ الأحزاب السياسيةِ؛ نائبٌ يَعُضُّ ساقَ نائب، والآخَرُ يهشم أنف أحد المعارضين، بينما السقوطُ الأخلاقِيُّ في تركيا لا تنحصرُ في إطارِ فضائحِ السياسيّين وحسب، بل الفسادُ والغشُّ والفاحشةُ والإنحرافُ والشذوذُ والخيانةُ والطائفيَّةُ والمذهبيَّةُ والقبوريَّةُ والسطوُ والإرهابُ واللُّصُوصِيَّةُ وغيرُهَا من الفوضى السلوكيةِ والفكريَّةِ والعقديَّةِ مستفحِلةٌ ومتفشّيَةٌ في جميعِ أنحاءِ البلدِ، خاصةً في المدن الكبيرة. وما أدلَّ على ذلكَ أنه لا يخلو منزلٌ ولا محلٌ تجارِيٌّ إلاَّ وقد اقْتَحَمَهُ لُصُوصٌ ونهبوه، رغم كثرةِ (الكاميرات) المعلّقَةِ على الأبنية والأبوابِ والأسوارِ. ولما انتشر الذُّعْرُ بين العامّةِ بعدَ شيوعِ اللُّصُوصِيةِ في الْمُدُنِ، أصبح من العادةِ إنشاءُ أحياءٍ مُرَكَّبَةٍ **complex** ومحصَّنةٍ باسوارٍ عُلِّقَتْ عليها أجهزةُ الرقابة الألكترونيَّةُ وأحيطَتْ بأسلاكٍ شائكةٍ، لكل من هذه الأحياءِ بَوَّابَةٌ يراقِبُ عليها حَارِسٌ مُسَلَّح.

لعل قائلاً يحاولُ أن يُخْفِيَ هذا السقوطَ بقوله: "إنَّ أيَّ مجتمعٍ لا يخلو من هذه السلبياتِ، وهي عيوبٌ طفيفةٌ ومحدودةٌ لا يجوز تشميلُها على مجتمعٍ بأكملِهِ!" نعم، إنَّ هذه التسليةَ الواهيةَ قد يُرِيحُ بها كثيرٌ من الناسِ أنفسَهم في منطقةِ الشرقِ الأوسطِ (وتركيا بُقْعَةٌ منها)، لكنَّ المشهدَ واضحٌ وضوحَ الشمسِ في ربوعِ النهار، ولا يسعُ المقامُ لعدِّ ما فيه من المساوي، كما يُغْنِي ذلك عن كلِّ دليلٍ، لكثرةِ ما يبدو من خلالِهِ من تجاوز حدودِ الله بارتكابِ الجنايات، والقتالِ والتناحُرِ والتلبُّسِ بألوانِ الرذيلةِ في كلِّ ناحيةٍ منها. فقد أهانَ اللهُ سُكَّانَ هذه المنطقة الخطيرة؛ فسلَّطَ عليهم اليهودَ، والنصارى، ومجوسَ

الفُرسِ، وضرب عليهم الذلةَ والمسكنةَ... وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ، إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآء. (الحج/18).

إنَّ الجهودَ الْمُسْتَمِيتَةَ التي تبذُلُها تركيا في هذهِ المرحلةِ لنشرِ التَّدَيُّنِ الصوفيّ، والإعتزازِ بأمجادِ العثمانيّين، وتأليهِ التاريخِ من خلالِ الخطابِ الدِينيِّ وأجهزةِ الإعلامِ، ليستْ إلاَّ لإخفاءِ هذا المشهدِ الْمُفْعَمِ بالمساوي، وهل من محيص!